

السرد العربي في معركة فلسطين والوحدة العربية

بقلم صابر فالحوطي

والحق ان الامر أبسط مما يتصوره المتشائمون ، كما انه أرحب مما يأمل المتفائلون ..
فالشعر يفرض نفسه ، ويحدد موقعه من دائرة الحضارة ...
ويخلق وجوده في وجود الصناعة والعلم ... كما انه يزرع أنفاسه الندية الطيبة بين لهات الحياة المتعبة ...
وهو اذ يؤكد ذاته العظيمة رغم قيود الواقع وأشواكه ومعضلاته ، فيتخطى الحواجز ، ويتجاوز العقبات ، فانه ينسجم مع انسانية الانسان وروحه ووجوده الخلاق وكيانه انلامحدود ... كما انه ينسجم مع العبقورية التي تتجدد مع الزمان ، وتقفز فوق انغام الشك والضعف والصمت ، لتبرز في كل عصر وكأنها منه وله ، وخلصت لتنفسوده وتكون العلامة الدالة عليه ، والضيء النابع منه ...

فلسطين من خلال التاريخ

فلسطين عربية أرضاً وشعباً :

كانت فلسطين منذ الازل جزءاً لا يتجزأ من ديار الشام ، وكانت منذ الفتح الاسلامي جنداً من أجناد الشام الخمسة وهي : فلسطين ، الاردن ، دمشق ، حمص ، فنينين ... وكانت مدينة اللد قصبته جند فلسطين حتى جاء سليمان بن عبد الملك أميراً لجند فلسطين من قبل أخيه الوليد بن عبد الملك فابنتى مدينة الرملة وبنى فيها قصره وجعلها العاصمة الى ان انتقلت الى بيت المقدس فيما بعد .
وفلسطين عربية منذ ما درج التاريخ على التراب العربي ، بل انها قلب الوطن العربي الكبير . وقد أطلق على فلسطين قديماً اسم أرض كنعان لانها كانت وطن العرب الكنعانيين الذين نزحوا من جزيرة العرب حوالي (٢٥٠٠) سنة قبل الميلاد ...

أما اسم فلسطين فقد أطلق عليها قبل الميلاد بنحو ألف ومائتي سنة ، نسبة الى احدى القبائل التي نزلت شواطئها بين يافا وغزة ، وبقيت فلسطين مرتبطة بوحدة ديار الشام حتى الحكم العثماني حيث قسمت الى ثلاث متصرفيات ...

وقد هب عرب فلسطين مع اخوتهم أبناء العروبة في كل مكان للثورة على الحكم العثماني وتحقيق الاستقلال والحريّة ... وقد اشترك أبناء فلسطين بجميع الجمعيات السرية والعلمانية التي نالفت للنضال ضد الحكم العثماني وقد تلاقحت دماء مناضلي فلسطين مع دماء أبناء دمشق وبغداد وغيرها من أجل القضاء على المستعمر العثماني ..
وقد أعلنت الثورة العربية الاولى في ١٠ حزيران ١٩١٦ وأخذ الشباب العربي من كل مكان يتسابقون ويلتحقون بالثورة ، حتى تحولت من الحجاز الى الشام ، وزال الحكم العثماني عن البلاد وانتصرت الثورة والتي كانت عربية استقلالية غير اقليمية ، وارتفع العلم العربي ذو الالوان الاربعة التي يمثل كل لون منها شعاراً لمهد من عهد العرب الجيدة .

وقد اشترط القادة العرب على الانكليز وحلفائهم اثناء الحرب العالمية الاولى ان تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية من مرسين وأضنه شمالاً حتى البحر الهندي جنوباً ، ومن فارس وخليج البصرة شرقاً حتى البحر المتوسط والبحر الاحمر غرباً ..

أيها الاصدقاء ...
يا حملة الافلام الثائرة ، التي تضيء للشعوب طريقها نحو العزة والحرر والكرامة ... يسعدني أن ألتقي بكم ، وأتحدث اليكم من خلال هذه السطور التي تحكي دور الشعر العربي في معركة تحرير فلسطين والوحدة العربية .. مؤكداً ان علي عاتق الكتاب الثوريين في اسيا وافريقيا مسؤولية نضالية كبرى ، وواجباً عظيماً يحتاج الى الاخلاص وتفانيه والتفاني في سبيل الحرية وانتصحية من أجل تحقيق المجد للجماهير الكادحة والقوى التقدمية المناضلة ...
وجدير بنا ايها الاعزاء ان نذكر ، ان تاريخاً بطولياً جديداً يكتب هذه الايام نفارتي اسيا وافريقيا وجميع القوى التقدمية الثورية في العالم ...

فلنكن افلام الكتاب ، وهج الضياء ، وهداء القافلة ، وطبيعة الموكب الزاحف نحو الفجر ...

وليكن نضال الكتاب ، قدوة في انتصحية ، ومثلاً في الاخلاص للكلمة المسؤولة ، ومنازة تتجه صوبها الاجيال وهي تحرق المراحل في طريقها الى النصر العظيم على أشلاء الاستعمار والامبريالية المالية .

أيها الاخوة ...

كان الشعر ، وما يزال ، عطاء النفوس الخيرة ، وفيض العواطف النبيلة ، ومراة الحياة المتفتحة ... وهو خالق يعطي ، ومستجسد يأخذ ، وعمسة تصور ، وصدى يحكي ... كما انه انفعال مع الاحداث ، وابداع وتخطيط نقيم الجمال ، وجمال الطبيعة ، وروعة الحياة ...

وربما قال قائل ، وله بعض الحق ، ما باننا نتحدث عن الشعر في عصر العلم والمنطق والصناعة ؟

أيصعد القوم الى القمر ، يفلحون أرضه ، ويفجرون صخره ، ونحن ما نزال نلحن للقمر ، هائميين به ، مصليين له ، معجبين بروعته وبهائه ؟ ..

أوما برحنا نتحدث عن الشعر وغيره من صنوف الكلام ، وقد بات ثابتاً ان اختراع سمسار واحد يدق صدر الاعداء ، واستنابات بذرة تمنع جوع محروم ، ونسج كنزة تقي من البرد جلد فقير ، كل هذه الامور تسوي ألف بيت من الشعر ، وألف بحر من النثر ...

وهذا الكلام ايها الاخوة فيه من الصحة والصدق بمقدار ما فيه من الخطأ وقصر النظر .. لاننا مهما سمونا في مدارج الحضارة ، ورفعنا من شامخات المباني وناطحات السحاب ، وركبنا من الافكار والكواكب ، نبقى مدينين للكلمة الاولى ، للكلمة الوعد ، للكلمة المرشدة المسؤولة ...

ومهما بلغت حضارة الطين من قوة في الدعائم والاسس ، وتبهرج في الفنون وجمالية الصناعة .. تبقى هذه الحضارة ، او بالاحرى ، تبقى روح انسان حضارة الرماد ، بحاجة الى غوث روحي ، وحنين عاطفي ، تبقى بشغف ولهفة الى بحه الناي ، وهمسة الرباب ، وسراج الكوخ ، وسقسقة العصفور ، ورنين موال البدوية ، وحديث رعيان القرية ...

كما ان السؤال نفسه لا ينتهي ، وفي هذا العصر بالذات ، حول مدى امكانية مساهمة الشعر في بناء الحضارة الحديثة ذات الطوابق المتينة ، والصواريخ الذرية ، والطائرات التي تفزو النجوم ...

وعد بلفور جنود النكبة :

وفي هذه الاثناء كانت تجري بين الانكليز وزعماء الصهيونية في بريطانيا مفاوضات أسفرت عن تصريح بلفور الذي يعتبر فانحة الكوارث على العرب وهو بصورة كتاب صادر بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ موقعا من بلفور وزير خارجية بريطانيا آنذاك وموجها للسي اللورد روتشيلد ، وهذا نصه :

عزيزي اللورد روتشيلد ...

يسرني أن ابعث اليكم باسم حكومة جلالة الملك بالتصريح التالي، تصريح العطف على الاماني اليهودية الصهيونية الذي رفع الى الوزارة ووافقت عليه : « ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وسوف تبذل افضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لا يجوز عمل شيء قد يضر انحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، ولا انحقوق او المركز السياسي اندي يتمتع به اليهود في أي بلاد غيرها » .

ومن الواضح ان هذا الوعد لم يكن التزاما دوليا في ذاته ، وانما هو مجرد عطف واثنية وتشجيع من جانب واحد ، وتم نكن فلسطين من املاك بريطانيا حتى يحق لها التصرف فيها لانها تعد بما لا نملك وتهب ما ليس في يدها ، الا ان هذا الوعد كان وثيقة خطيرة جرت على العرب الشؤم وسببت النكبة الكبرى وتشرذم عرب فلسطين . فمع ان اليهود في فلسطين لم يكونوا حين صدور التصريح يزيدون على الخمسين الف نسمة يقابلهم من العرب ٦٥٠ الف نسمة أي ان عدد العرب يزيد على عدد اليهود أكثر من اثنتي عشرة مرة ، فان التصريح ، تصريح بلفور ، جعل اليهود الاصل وتجاهل وجسود شعب عربي ، وتجنب حتى ذكر كلمة « عرب » .

قبيل النكبة :

استلم اليهود وعد بلفور كلمات عاطفية مشجعة تفذي آمالهم في انشاء وطن قومي يقبهم من التشرذم والضياع في شتى انحاء الدنيا . وانطلقت الالة الصهيونية تجمع المال لتستخدمه في انشاء المعامل والمصانع وشراء السلاح ووسائل التنمير وبناء المستعمرات استعدادا للمعارك المقبلة ، كما توالفت بعد ذلك ، وبتشجيع وعون من بريطانيا ودول الاستعمار ، وفود المهاجرين الصهاينة الى فلسطين ، وهنسا بدأت المعارك والمظاهرات وشتى صنوف النضال والاحتجاج ضد وعد بلفور ، وضد هذا اعدو الصهيوني الفاصب الذي أراد من احلال فلسطين أن تكون رأس حربة للقضاء على القومية العربية .

الخامس عشر من ايار - وتشرذم اللاجئيين :

وما كاد يتم النصر للحلفاء في الحرب الكونية الثانية ، حتى أسهمت الولايات المتحدة مع بريطانيا في البحث عن حل للمشكلة الفلسطينية ، وتمت اللعبة الناجحة بوضع القضية بين يدي منظمة الامم المتحدة واعلنت بريطانيا انها ستنتهي الانتداب على فلسطين في الخامس عشر من ايار ١٩٤٨ .

وكان النفوذ الصهيوني والاميركي يجند القوى في المنظمة الدولية الى جانب اليهود ، عندئذ وقف ابناء الامة العربية على باب تجربة عنيفة دائمة ، تدعوهم الى اثبات وجودهم وقدرتهم على الاحتفاظ بكيانهم الموروث عن اباؤهم . وكانت الجامعة العربية بدورها السبع يومذاك تقف في الميدان ، ولما لم تستطع دولها الاعضاء في المنظمة الدولية اثاره الضمير العالي ، لان ضميرها هي لم يتحرك للنكبة ، ولان الدول العربية التي يجري البترول من تحتها لم تجرؤ على تهديد

مصالح الاستعمار بسلاح النفط ، فقد صدر قرار التقسيم ودوي الرصاص ، وخاضت الجيوش العربية السبعة الحرب التي انتهت بالهدنة على حساب تشرذم انحراب الفلسطينيين الذي أصبحوا تحت كل نجمة جرحا ينفض بالنضال وجيلا يهتف بالعودة .

ايها الاخوة .

كان لا بد من هذه المقدمة الدولية لتدرك المراحل التي مرت بها القضية الفلسطينية ، ونظلم من خلالها على دور الشعر في مسؤولياته ومهامه خلال نضال الشعب العربي من أجل تحرير فلسطين العربية .

الشعب العربي في مرحلة النضال الاولي :

لقد واكب الشعر العربي القضية العربية في فلسطين ، فناها جراحا تور ، واما لا تتفتح ، وانتصارات على اعدو الفاصب . . كما استطاع أن يكون حذاء الثوار المناضلين في المناريس الالهة والميادين الفاضبة ، ونارا محرقة في وجه الساسة الخونة والحكام العملاء . . فقد أشعل الحرب في وجه العدو الحافظ ، كما أثار الرياح في وجهه ضعاف النفوس وقصار النظر الذين حسبوا الاحتلال الصهيوني لفلسطين مجرد نزهة طارئة ورحلة عابرة يوم اطمأنوا لعودة الخادعة من كابوسة بريطانيا حتى استمر الداء فاذا به عضال فمال مميت واذا بفلسطين شهيدة حعد الاستعمار وخيانة العملاء ، وذل الاغبياء . . واذا بها كذلك نكسة قومية خطيرة ونكبة عربية لا يعادلها نكبة في تاريخ العالم الحديث . .

وقد تناول الشعر العربي وعد بلفور بشير الشؤم ودليل الجريمة الاولي ، فيبين للرأي العام مخازيه ، والويلات التي يجربها على الشعب العربي اذا هم تهاونوا امامه وأمنوا شره . .

وها هو الشاعر القروي يتوعد المستعمر الانكليزي مؤكدا لسه نهاية الظلم ، مبينا ان الانكليز اذا ارادوا اعطاء اليهود الارض والوطن فليكن ذلك من لندن وتوابعها لا من أرض وحقوق العرب ، لان اليهود أحب الى لندن ، ولان بريطانيا أرحب من فلسطين وهم أحق بها من أية بقعة في العالم :

الحق منك ومن وعودك اكبر
تعد الوعود وتقتضي انجازها
لو كنت من اهل المكارم لم تكن
فاحسب حساب الحق يا متجبر
مهج العباد حسنت يا مسعمر
من جيب غيرك محسنا يا بفر

ثم يهدد :

تطوي دوارك الخضم وربما
للسلم نحن كما علمت وللوفي
طويت بدمعة ناكسل تتحرد
منا المسيح آني ومنا عتسر

ويشرح القروي الشؤم الذي جرت به وثيقة الوعد الكاذبة مسن ويلات على العرب ، وكيف أصبحت وكأنها تاريخ حقيقي ، ووعد رسمي ينفي كل ما عده من حقائق واضحة كالشمس :

من لعرض الحقائق
سارق يدري بسسه
فسي فلسطين آية
او تنفسي وثيقة
كلكم جند آفك
من أخاديسع فاسق
نصف مليون سارق
للسلوسول المنفاق
عشيرات الوثائق
كذبوننا بصصادق

ويتابع الشاعر ابو ماضي رسالة القروي وامثاله في التنديد بوعد بلفور والسخرية منه فيقول :

الا ليت بلفور أعطاكم
فلندن أرحب من قدسنا
بلادا له لا بلادا لنا
وانتم أحب الى لندننا

ويتوعد أيضا :

وكانت لاجدادنا قبلنا
وانا سنجعل من ارضها
وتبقى لاجدادنا بعدنا
لنا موطننا ولكم مدفننا

الشعر والهجرة اليهودية :

وكلما عاد أيار حمل في جيبه آلاف الصور الفاتمة والذكريات

المريرة :

وعاد أيار والجنبات ما فتئت
واللاجئون جراحات مخضبة
والساح لما تزل غابا من الالم
معجونة بسياط الجوع والسقم
تاه الرعاة فلا تسأل عن الغنم
ما بين ظفر وناب والتهام فم (1)

ويعاتب الشاعر الناعوري يوم الخامس عشر من أيار غنابا مرا
فيه لعنة الزمان ، وأقذع ألوان الشثيمة :

يا لعنة الزمن البفيض وأسوأ الأيام ذكرا
هذي ضحاياك الكسبان تهيئها الأيام قهرا
يا صورة الجبن الأذل وأبفض الأيام طرا
لا كنت من يوم وبه صار انتشاء العرب غدرا
وقد اعتبر الشعر العربي ان سبب الخامس عشر من أيار ليس
عصابات اسرايل وحدها وانما المستعمر الغربي بشكل عام لان جميع
الايادي الملوثة المتآمرة اشتركت في صنع الجريمة البشعة وتمثيل
فصول هذه المأساة الكبرى فيلعل الشاعر هارون هاشم رشيد :
لولا خداع الانكليز وغسدرهم ما عات في أرض الاسود كلاب
والغرب يا للغرب ان قدومه نحو البلاد مصيبة وخراب
هو أخطبوط فاجر مستعمر في كل ناحية له أذنان

الشعر العربي بعد النكبة :

لم يستسلم الشعر العربي ، كما لم يستسلم الشعب العربي
للامر الواقع في فلسطين بل بقي رغم هزيمة عام ١٩٤٨ يدفع قوافل
النضال للمعركة ، ويعد العدة للنصر ، ويطرح الشعارات الثورية
ويهبى القوى ليوم المعركة الفاصلة .

وهنا لم يستطع الشعر بعد النكبة ان يخفي دقات الالم والحسرة
والضياع الذي أصاب اللاجئين فعندما يسأل الشاعر العربي الفلسطيني
عن نفسه يجيب بشير قبلي :

أنا من نلال الرملة البيضاء ذهبا الاصيل
من سفح غزة ، من ربوع اللد ، تحضنها السهول
أنا من ضلوع القدس شرحها بمضغ الدخيل

كما ان الشعر العربي لم يعترف بقرار التقسيم ولم يرض عن
قرارات الامم المتحدة لانها كانت منتهى الجور والظلم والتعسف الذي
قضى بتشرد العرب الفلسطينيين واستيطان العصابات المهاجرة الى
غير ارضها ظلما وعدوانا .

فليغضب الشاعر علي محمود طه ، وليشد العيون صوب الفجر ،
وليشحن الهمم نحو النصر :

أخي جاوز الظالمون المسدى فحق الجهاد وحق الفدا
وليسوا بغير صليل السيوف يجيبون صوتا لنا او صدى
وليصرخ الشاعر يوسف الخطيب في وجه دعاة التقسيم :
أنا ثورة أنا ماردي جبار لا الريح تخمدني ولا الاعصار
بيامد في الافاق السنة اللظى حمرا لها في الخافقين اوار
ولاحرقن الليل حتى تنجلي أسدافه فتسوقدي يا نثار
للميتين جراحهم ودموعهم ولجنوتي ساح الوغى والنثار
أنا للحياة ولن أظل مشردا أقسمت لا ارضى ولا اختار
أنا ثورة عربية جسارة حتى تصاد الى ذوبها الدار

وقد اتسم الشعر العربي بطابع الثورة والتمرد والدعوة الى مواصلة
الكفاح ، وتقديم الاضاحي من اجل العودة مستلها الماضي العربي
مزينا روعة المستقبل بعد الظفر في معارك التحرير .

(1) من شعر « صابر فلنحورط » .

وقد تناول الشعر العربي الهجرة اليهودية الى فلسطين وأوضح
للراي العام العربي والعالمي خطورة تدفق مئات الآلاف من اليهود الى
الارض العربية ، كما بين المخازي التي يحصدها الشعب العربي
الفلسطيني بسبب هذا الاحتلال الجديد فيخطب الشاعر طوقسان
الانكليز ساخرا :

قد شهدنا لعهدكم بالعداله وختمنا لجندكم بالبساله
وعرفنا بكم صديقا وفيا كيف ننسى انتدابنا واحتلاله
وعندما طفى طوفان اليهود المهاجرين قال طوقان :

منذ احتلتم وشؤم العيش يرهقنا فقرا وجورا وانعاسا وافسادا
بفضلكم قد طفى طوقان هجرتهم وكان وعدا تلقيناه ايعادا
وتحدث شعر طوقان بعد ذلك عن سبل تهريب اليهود وتسليمهم
المشبه وطرفهم المريبة بأسم السياحة والتجارة أحيانا حتى
أمكنوا القبض على الارض العربية والعرب في شبه غفوة من اثر تخدير
الوعود البريطانية :

يهاجر ألف ثم ألف مهربا ويدخل الف سائح غير آيب
وفي أنجر الآف كان عيبا واماوجه مشحونة في المراكب
بني وطني هل يقظة بعد رفقة وهل من شعاع بين تلك الفياهب
وينحي الشعر العربي باللائمة على تجار النفط في الوطن العربي
الذين لم يقفوا في وجه الشركات الاحتكارية التي تمد اليهود
بالمال والسلاح والعون :

يا بائع النفط صاروخا يهدنا ومدفعا بلهيب الموت مختضبنا
ليس العدو الذي بانار واجهنا لكن من وهبوه النار والخطبا
وقد حمل الشعب العربي على سماسرة الوطن ، وتجار الكرامة
من العملاء والرجعيين وطلاب الزعامات الذين اشتغلوا بالتساحر
والانانيات والمصالح الشخصية متناسين ما يفعله المستعمر الصهيوني
الوافد فيقذفهم الشاعر طوقان بهذه السخرية :

أما سماسرة ابلاد فقصبة عار على أهل البلاد بفاؤها
هم أهل نجدتها وان أنكرتهم وهم - وأنكراغم - زعماؤها
وحمانها وبهم يتم خرابها وعلى يديهم ييمها وشراؤها

الشعر العربي والخامس عشر من أيار :

عندما انطلقت الجيوش العربية الى ساحات الدم والحديد في
فلسطين العربية كانت تحمل في قلبها ايمانا بالنصر وعزيمة جسارة
لا تفتر ، كما كانت تحمل في أيديها سلاحا شبه فاسد وعلى ظهورها
قيادات وحكومات معظمها مرتبط مع الاستعمار ، ومع ذلك خاضت
الجيوش المعركة ، وخرجت منها تجر جراح الالم والخيبة والانكسار
تاركة الضحايا القوالي في تراب فلسطين تنادي ملء سمع الزمان ،
هائفة بالعودة مؤكدة النصر في معركة المصير العربي .

فلينشد الشاعر أحمد حجازي لشهر أيار لحن الالم والحرقه :

نحن ما زلنا نغني
لك يا شهر أيار يا شهر النهار
نحن ما زلنا نغني
لك يا شهر التمني
يومك الخامس عشر
آه يا يوم الضحايا والهزيمة
آه يا يوم الجريمة
نحن لم نبخل عليه بدم
وبمراى من دوالينا
انتهينا عنك يا يافا وتها
دون ان نشبع من شم العرار . .

الشعر العربي والسلام :

من البديهي ان الامة العربية امة سلام ومحبة تاريخا وعقيدة ومسيره واخلاقا ، الا انها لا تستطيع ان تفض عينها على السهام تفنك بها ، والذئاب تغير عليها ، لهذا كان الشعر العربي منطقيا في دعوته للسلام لانه جعل السلام هدفا وغاية مقدسة بعد تحرير اجزاء وطننا المسلوبة ونوالنا حريتنا وكرامتنا المعتدى عليها من قبل الاستعمار واعوانه ، وقد كان الشعر العربي هدى لهذه المبادئ الواضحة والتي لا تحتاج الي فلسفة او نظريات ..

ومن هذا اليدان انطلق الشاعر سليمان العيسى عندما لا يرى مبررا للهدوء والاستقرار الا بعد النصر والكرامة :

حملت في شفتي النصار والالما هما جناحي في الزحف العظيمهما
كفرت بالشمس ان تشرق على بلدي الا لتلثم ارضا حرة وفما
كفرت بالحب ان مدت جوانحه على حبيبين حام الذل حولهما
ومن هذا المطلق يرى الشاعر خليل خوري السلام الذي نجسه
ونفثه بعدما تحقق آمالنا ونحرد ارضنا ونفني روعة فجرنا :

ربما غنيت لحنا للسلام

بعد عام ، بعد عامين ثلاثة

الف عام

غير اني لن اغني الان ما دام السلام

حائلا يمنع عن فجرني انبعائه

الشعر وحرب التحرير الشعبية :

وقد تجاوب الشعر العربي مع آمال الجماهير العربية الكادحة ، ومع الحل الثوري لقضية فلسطين ، وهو حرب التحرير الشعبية التي تبناها الطلائع العربية المناضلة .. فشرع يحث الاجيال من اجل التمرد والثورة على الواقع الاسود الفاسد ، ويدعو الطلائع للانضمام لكتائب التحرير الشعبية منطلقا من ظلام الواقع ليصنع فجر المستقبل المشرق .. فهو يشهد زخم الملايين ، وتمسرد الجماهير ، ولهب الثورة العربية في كل ميدان وساح ، فيشهد خالد وطارق والجراح من خلال بطولات ثوار الجنوب ومقاوير العاصفة وطلائع حرب التحرير الشعبية

فينشد للجراح على دروب النصر :

دقي يد القدر

والقي السفين الى الشيطان وانتظري

المنفذ الشعب عاد اليوم فاعتمري

عمامة من دم مهدور نصر

هذي الطلائع غني موكب الظفر

تلملي احرقني الاقياد وانتصري

فطارق عاد يا شيطاننا انفجري

موجا من اللهب

صواعقا من جحيم الموت والفضب

وغمس راية من جرح امتنا

وتشربها ضحي مخضوض الشهب

وعمري قلعة التاريخ شامخة

صخورها من جراح الفتية النجب

غدا وليس غدا الا لثورتنا

لنا لامتنا في زحفها العربي (1)

من فلسطين الى فيتنام :

ان الشعر العربي ، وهو يصارع الاستعمار ، ويدعو الجماهير العربية الكادحة للثورة وخوض المعركة ضد العدو الفاصب ، فانه يساهم بشكل جدي وفعال في تحرير الشعوب الصديقة المكافحة من

(1) من شعر صابر فلحوط

اجل حريتها وعزتها وكرامتها ..

فتحطيم الاستعمار الصهيوني في فلسطين ، والقضاء على نفوذ شركات النفط الاحتكارية في الوطن العربي ، وتحرير ارض الجنوب العربي من المستعمر البريطاني واذنابه ، واذلال الدوائر الاستعمارية ، وانهاء وجود العملاء والرجعيين من الارض العربية كسل هذه الامور مساهمة جدية وفعالة في تحرير فيتنام وغيرها من الدول الصديقة التي تكافح عدوا مشتركا ..

والشعر العربي وهو يكافح من اجل فلسطين فانه يفتح جبهة نار جديدة على اعداء فيتنام الذين يستيحيون الحريات والحرمات ويسرقون اموال الشعوب ويكبلون قدراتها وانطلاقاتها .

والشعر العربي القومي ، بشكل عام ، هو دعوة خيرة للانسانية ، وصوت اصيل في سبيل العدالة والسلام ، وغضبة صادقة اللهب من اجل القضاء على الاستعمار والامبريالية والرجعية والعملاء فوق كسل شبر من العالم ..

ولهذا يلتقي شعراء العروبة في دعوتهم لتحرير فلسطين مع ثوار فيتنام الابطال عندما يساهمون في حفر خنادق جديدة للمستعمر الفاشم الذي يظهر في فلسطين بوجه وفي فيتنام بوجه اخر ..

وهكذا استطاع الشعر العربي ان يعيش القضية الفلسطينية وان يصيغ قوافيه بدم الضحايا وانفاس الشهداء ، وان يعيش مراحل النكبة وفصول المأساة بكل دقائقها ، وقلما خلا ديوان شاعر عربي من هتاف للعودة ، وصرخة من اجل الديار السليبية ..

ولئن قصرنا الشواهد في هذه المعجالة على بعض الشعراء فما ذلك الا للاختصار وكسب الوقت .

ولعل استقصاء الشعراء الذين غنوا فلسطين واغنوا الادب الثوري بشعرهم القومي حول النكبة يحتاج الي دراسة اوسع واشمل ليس هذا المقام مجالها ..

الشعر والوحدة العربية

ايها الاخوة ..

الحق ، ان دراسة دور الشعر في معركة الامة العربية من اجل

اطلب منشورات

دار الاداب

في الاردن

من

المكتب التجاري

لصاحبه محمد موسى المحتسب

القدس - تلفون ٤٤٦٥

عمان - شارع الملك حسين - مقابل بنك انترا

وحدثها وحريتها تحتاج الى مجلدات وكتب ، وذلك لان الشعراء العرب ، في فترة اليقظة القومية ، فتحوا ابصارهم على الدنيا ليجدوا امتهم مجزاة مقسمة بفضل الاستعمار والجهل وعقلية الزعامات الموروثة وغيرها من الامراض الاجتماعية الفتاكة ..

وكان لا بد للشعر العربي من ان يكون داعيا للوحدة مبشرا بها ، مناظلا من اجلها ، معتبرا ان سعادة الوجود ورفعة الانسان العربي لا تتحقق الا :

يوم امشي في الاطلسي يميني نون حد وفي الخليج شمالي (1)
ويعتبر الشعر العربي ان الوحدة العربية امر محتوم ، وواقع طبيعي لا بد من ان تمشيه الجماهير المناضلة .. فاذا ما قامت عراقيل الاستعمار وحواجزه ، فلك امور طارئة على الاصل والذي هو الوحدة :

يا هانفا بالفرقدين تلاقيا

كلت نفسك وصل ما لم يفصل

ما الشام وما وهران في البلوى سوى

عيني مولهة وحدي فيصّل

ارابت ويحك مقلة هملت على

فقد الحبيب واختها لم تهمل (2) ؟

والشعر العربي يصل الماضي العظيم بالحاضر النائر دليلا على صلة تراثنا ونماسك تراثنا ولقاء ثوارنا في كل زمان ومكان .. فليخاطب الشعر العربي جميع الشككين بقدرتنا وعظمتنا ماضيا وحاضرا ومستقبلا:

سل عهد شامي وبغدادي واندلسي

عن عمق فلسفتي عن عدل احكامي

انما العروبة لي في ملكة

انجيل حب ، ولي قرآن انعام

ما ازهوهر الشرق الا تحت اعلامي

واخضوض الغرب الا تحت اقدامي (3)

واذا ما بدا الواقع اسود ، تعيث فيه ذوبان التجزئة ، وتغير على الحمى اوباش الاستعمار والصهيونية فعلى الشعر العربي ان يطل من عالم الغيب ليبشر بالثورة ويحرب التحرير الشعبية :

قل للغير على مرابنا كالسيل ينفذ من هنا وهنا
حملت نفسك فوق طاقتها وركبت ويحك مركبا خشنا
فاجعل ضربك جاهزا ابدا واعد نفسك واحمل الكفنا
ان لسم يكن زمن يوافقنا للثائر منكم نخلق الزمنا (4)

ويختصر الشعر العربي المسافات والتخوم والحواجز ، ويذلل العقبات والصعاب ليحقق الوحدة العربية التي تربط ابناءها روابدا الدم والشعور والاتصال والقربى ، فيستنكر دعاوى الانفصاليين والقطريين والاقليميين والرجعيين :

لم تنأ لبنان عن مصر ولا بعدت بغداد والمسجد الاقصى وصنعاء
اي التخوم تناوت بين اربعها لها من الروح تقرب وادناء
ارض عليها جرى تاريخنا وجرى دم به كتب التاريخ ابناء
فهذه الارض وحدة لا انفصال في اجزائها ، وهذا الشعب امة لا
تفريق بين ابناءها شجرة واحدة الاصل عذبة اتفصون والفروع تجتمعها
روابط هي مقومات وجودنا ، وسر خلودنا واسباس قوميتنا ..

والشعر العربي عندما يحدنا عن هذه الروابط الوجدانية الاصلية فلا يعتمد على خريطة مكتوبة وحدود طبيعية مرسومة فحسب بل يعتمد على روح الثورة في الجيل العربي صاحب الوحدة وحارسها والمناضل لتحيقها ، وعندما يتكلم الشعر فانه يتكلم باسم الدم العربي الذي يغلي على رحاب فلسطين والجزائر والجنوب العربي .. كما تتكلم الطلائع الثورية الزاحفة نحو النصر العربي الكبير ..

(1) شعر سليمان العيسى

(2) شعر القروي

(3) شعر القروي

(4) شعر الياس فرحات

وقد امتزج الشعر العربي بارضه وسمائه ، باهله وذويه ، حتى بات جزءا من سنديانة البيدر ورمانة الكرم ، وعنقود الدالية ، ومجوز الراعي واغنية البدو ، بوحدتها فيها من الصدق والجمال بمقدار ما فيها من الجلال والروعة والصفاء ..

وتأخذ الدعوة للوحدة العربية في بيدر الشمسر اشكالا متعددة ولكنها تبقى جميعا في الجرى العميق الذي تصب فيه جميع السواقي الشاردة ، وذلك بسبب وحدة المنبع والمصدر ، ووحدة الهدف والمصير .. فالجيل العربي الذي يصنع الوحدة ، قدر العروبة في تاريخها الحديث ، هذا الجيل يعرف نفسه ، يعدد ميادينه وساحاته ويذكر سبل نضاله ، ويحدد في النهاية هدفه المعيري العظيم :

انا في بغداد امواج الدماء احرق وجه السحاب الفهب
انا في صنعاء نار تقتلني فالعروش السود بعض الحطب
انا في الاوراس شعب نائر صامد غير صراع النوب
انا في النيل اسود دريها وحيدة رغم دعاة الكذب
انا شعب وليمت اعداؤه عربي عربي عربي عربي (1)

الشعر والدعوة للحرية :

ان الشعر العربي توق دائم للحرية ، وشوق متقد لتحقيقها ونضال مستمر من اجل رفع رايتها واعلاء كلمتها ...

وقد تمكن الشعر العربي من ان يفتح العيون والاذهان على شمس الحرية ، وان يدعو لنشايك الزنود وانقلاب في المعركة من اجل الحرية ، وان تستثير الهمم ويحفز الجماهير ، ويقود الثوار ، في سبيل النضال الدامي والكفاح المرير فدى للحرية وتأكيدا لوجودها ، وعربونا لانتصارها . فمنذ الجاهلية حتى اليوم ، والشعر العربي سراج الضياء الوهاج وصوت القافلة الحادي ودليل الاجيال الضائعة ، وناقوس الامل الذي يدق ليل نهار من اجل الحرية .. وقد فهم الشعر العربي الحرية على انها ثورة من اجل الوحدة العربية ، ومن اجل انسانية الانسان العربي ، وفسح المجالات امام مواهبه وامكاناته ليفجر طاقاته الكامنة ويخلق مستقبله العظيم .. وقد اتسم طابع الدعوة للحرية بالامر العنيف والالاح الشديد والايامان الكبير بالشعب ، بالجماهير الكادحة ، وبالملابيين الضائعة في توابيت الاسى والدم والتعب والالام ..

وها هي قد بدأت تتلملم من قيدها وتتحرك تحت وطأة الصخور المكدسة على راسها ، فتزيع الليل الثقيل عن اجفانها ، وتمضي السى مدارج النجوم ، ومعارج السور لانها الشعب الذي لا يقبل ..

الملايين افاق من كراهها انراها مالا الافق صداها
خرجت تبحث عن تاريخها بعد ما تاهت على الارض وناها
حملت افسوسها وانحدرت من روايبها وانوار قراهها
فانظر الاصرار في اعينها وصباح البعث يجتاح الجاهها
يا اخي في كل ارض عربيت من ضياعا وتفتتت برجاهها
قم تحرر من توابيت الاسى لست اعجوبتها او نوميهاها
انطلق فوق ضحاها ومساها يا اخي قد اصبح الشعب الها (2)

ولعل تصوير الواقع المأساوي الذي تعيشه الامة العربية من تخلف وضعف وتجزئة وتحكم من قبل الاستعمار يشكل اكبر حافز على الثورة من اجل الوحدة والانقضاء على السادة الجبيد الذين يذيقون الشعب مر العذاب والتشرد والالام :

ان في اضلاعنا مما جنى الدهر سميرا
نحن املنا كثيرا فتاملنا كثيرا
ورجونا المجد تاجا فحملنا السئلا نيرا
باعنا القادة اغناما وساقونا حميرا
اطعمونا الصبر فجا وسقوناه عصيرا

(1) من شعر صابر فلحوط

(2) من شعر محمد الفيتوري

فرشوا أوجهننا للقادرات العاتية خضيراً (1)

هذه صورة سوداء قائمة من صور العبودية عانى منها شعبنا وما يزال يعاني في بعض أجزاء الوطن العربي ، ومن يمكن ان يجلو هذه الصورة الا نضال اثوار و بطولات الطلائع التقدمية وانفسوى الثورية ، والجماهير العربية الكادحة ...؟

الشعر وامراض المجتمع العربي :

ان الشعر العربي ينسجم مع المبادئ العربية القومية التي آمنت بها الطلائع الثورية عقيدة وسبيل نضال ... ولهذا نجد الشعر العربي يعلن ثورته على الطائفية ، والاقليمية والاتكالية وشيئسى الامراض الاجتماعية التي خلفتها عهود الفساد والاستعمار في مجتمعنا ... ولهذا نجد الشعر العربي يحدد العروبة ويعرفها على انها رسالة خير ومحبة وسبيل كرامة ونكافؤ لتفرض بين الجميع ، بعيدا عن تعصب الحاقدين وتشكيك المفرضين :

ليست عربيتنا طقوس دينية تذكى الجهالة بان تعصب نارها
ليست تميز احدا عن بطرس فالامم ترعى بالسواء صفارها
وتضهمم فكانتها قيشارة ضمت الى اضلاعها اوتارها
ما همها من لم يصل ولم يصم ما دام يحمي في الحروب ذمارها (2)
ونرى الشعر العربي يجعل من الدين وسيلة وحدة لا سبيل فرقة،
وذلك عندما ينتقي الدين مع اصله ومنبعه وهو اتقيم العربية الخالدة :
رسل نشيد عرويتي تريسلا تسمع به القرآن والانجيل
رله تسمع نهر دجلة هادرا وخليجنا ومحيطنا والنيل (3)

(1) من شعر الياس فرحات

(2) من شعر الياس فرحات

(3) من شعر صابر فلحوط

وقد حارب الشعر العربي الاتكالية والانهازية وغيرها من امراض المجتمع العربي التي تجعل المواطنين عالة على الوهم والقييات فحسد هذه السياسة بقوله على لسان فرحات :

صلى الجهول الى الباري ليرزقه وونا ونام ، فعاش العمر جوعانا
ولو سعى في سبيل العيش مجتهدا لكان من امره غير الذي كاننا
اما اولئك الذين همهم المناصب والمراتب ، والمظاهر الفارغة فلهم من الشعر العربي القاب الهزء والفضبة القاصمة الظهر لانهم :

لا يبذون لاجل انخير خردلة الا اذا قيل قبل الدفع قد دفعوا
قوم اذا فعدوا في منب بشمخوا ناسين كم فرعوا بابا وكم ركعوا
اذا تولوا على اصحابهم ضربوا فان تجلت لهم اربابهم ضربوا
جور على ذاء ، وتعفير الجبين لذا كرائم السطح مطروح ومرسوع
وخاتمة القول ، ان هذه اللمحات من دور الشعر العربي في معركة فلسطين والوحدة العربية تدل بوضوح على رسالة الشاعر المسؤول والعبارة الهادفة ، والكلمة الملتزمة التي تحكم العالم هذه الايام ..

وقد استطاع الشعر العربي ان يكون نضالا من اجل فلسطين وكفاحا في سبيل الوحدة بالمقدار الذي تسمح له ظروفه كفن انساني ، فخلق ملء جوانحه ، وطاف جميع الميادين والساحات التي تمكن من الطواف بها والعمل فيها ...
فكان ، والحق يقال ، هتاف امة تمضي نحو مطالع فجرها ، وهدير اجيال تنطلق في مواكب بعثها ، ونداء تاريخ ثوري يكتبه ابناؤه من جديد ... وسيقى الشعر الثوري القومي قبسة في عنات ليل النضال ، وبسمة تتحدى عيسات الاحداث وقيود المستعمرين ...
ولعمري انه شعر الثورة العربية الرائدة ، الشعر القومي الاصيل الذي يدق ابواب الخلود بكلنا يديه .
والسلام عليكم .

صابر فلحوط

دمشق - سوريا

السفير

آخر رواية للكاتب الشهير

موريس ويست

رواية الحرب القدرة في فيتنام ، كما يرويها سفير اميركي عين في سايفون وشاهد في اول يوم وصل فيه انتحار راهب بوذي ... وهو يقص هنا قصة تلك المنطقة التي تمزقها الخلافات السياسية والدينية والعسكرية وتدخل الولايات المتحدة الاميركية في هذا كله . ويعيش هذا السفير مأساة ضميرية اذ يكون عليه ان يختار بين رجل يحترمه (هو الرئيس كونغ) وبين طفمة من الجنرالات المتآمرين الذين تدعمهم المخابرات السرية الاميركية ... انه الصراع بين الاخلاق والانتهازية السياسية ، ولكنه كذلك مأساة شخصية يخرج منها السفير مجروحا في ضميره بحيث تهجر مهنته الدبلوماسية ليلمس الخلاص الروحي بالقرب من راهب ياباني ...

وقد نجح موريس ويست ، وهو مؤلف رواية « محامي الشيطان » الشهيرة ، في تصوير حرب الفيتنام والدور الذي تلعبه قسمة من الشخصيات المختلفة الغامضة ، وفي التعبير عن نزعة انسانية رائعة جعلت هذه الرواية في طليعة الروايات المعاصرة .

يصدر هذا الشهر